الخمريات عند محمد بن عبد الملك الزيات

إيلاف عدنان حيدر أحمد
ديوان محافظة بابل

أ. د. هناء جواد عبد السادة
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

البريد الإلكتروني Email : elaafalshbly@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الزيات ، الخمريات ، شعر الخمرة ، التغزل بالخمرة ، تطور الخمريات.

كيفية اقتباس البحث

أحمد ، إيلاف عدنان حيدر، هناء جواد عبد السادة، الخمريات عند محمد بن عبد الملك الزيات، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الاول٢٠٢٢،المجلد:١٢ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The wines of the minister Muhammad bin Abdul Malik Al-Zayat

Researcher Elaf Adnan Haidar
Republic of Iraq Babylon
Governorate Governor Office

Hana Jawad Abdel Sada
University of Babylon/ College of Education for Human Sciences/ Department of Arabic Language

Keywords : Al-Zayat , wines, wine poetry, flirtation with wine, evolution of wines.

How To Cite This Article
Haidar, Elaf Adnan, Hana Jawad Abdel Sada, The wines of the minister Muhammad bin Abdul Malik Al-Zayat, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, October 2022,Volume:12,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract :

The Arabs have known wine since ancient times, and drinking wine became widespread among the classes of society in the Arabian Peninsula, because it was in particular one of the pride of the Arab masters and its scarcity and exorbitant prices. As for the Abbasid era, the changes reached a great extent in terms of life and society, and the spirit of the new era was reflected in the poetry of the winery. Then, the development of life has allowed the existence of suitable places for fun and conviviality, and the wine has become one of the advanced poetic arts, as it began to be simple in the life of the ignorant. It resonated widely and did not develop until the Abbasid era, and with the beginning of the second century AH, the talk about drinking wine among poets of this century became an art, as he left the image of Bedouin and simplicity

to other forms of ancient To complicate it to arrive in its optimal form of craftsmanship and complexity from Muslim bin Al-Walid, then it reaches its peak in the beauty of the formulation and the novelty of the subject according to Abu Nawas. The field is balanced and free from immorality and immorality, and it may be immersed in blatant promiscuity. Before assuming the ministry, al-Zayyat lived a lame life. Zayat described these councils accompanied by his owner and the chief of the council named (Yahya). The truth is that al-Zayyat clearly reflected the prevailing ideas and behaviors in the councils of the upper classes. In society, he depicted scenes of decadence, luxury, and elegant immorality that angered the majority of Muslim scholars. Al-Zayat referred to the reasons for drinking wine, which represented him the refuge and the home to which he would flee. The liquor was made with it, its aging and its drinkers, and then it came to the zayat to separate what was going on in those councils in a language filled with passion, degrading, pornography and incitement to commit sins. The door of his divine life through it, for this became for the wine poets a new civilized and life value that has its components, customs and fees that they are keen on. In Al-Zayyat's poetry, it appeared in an image similar to the image of wine in his time, which was close to the stereotype.

الملخص :

عرف العرب الخمرة منذ عهود بعيدة وشاع شربها بين طبقات المجتمع في الجزيرة العربية لأنها كانت على وجه الخصوص من مفاخر السادة العرب ولندرتها وغلو اثمانها ، وتتسق اشارات شعر الخمرة مع نمط الحياة البدوية ، وما يحتله السادة من مكانة اقتضت اقتضت منهم الجود والانفاق والبذخ ، أما في العصر العباسي فلقد بلغت التغيرات مدى بعيد من حيث الحياة والمجتمع ، وانعكست روح العصر الجديد في شعر الخمرة ، ونعثر في هذا العصر على مقطوعات وقصائد طويلة كرسها اصحابها للخمرة ، حتى لا تكاد تنفصل اسماء بعض الشعراء العباسيين عن موضوعة الخمرة كأبي نواس ومسلم بن الوليد ، ثم أن تطور الحياة قد سمح بوجود أمكنة مناسبة للهو والمنادمة ، وقد أصحبت الخمريات من الفنون الشعرية المتطورة حيث بدأت بسيطة في حياة الجاهليين فإنهم وان عاقروها وفخروا بشربها وكانت بعض مضامين المديح والهجاء والرثاء والوصف ، إلا أن تلك المحاولات ظلت في حدود الابيات القليلة ولم تأخذ صدى واسع ولم تتطور حتى العصر العباسي ، ومع بداية القرن الثاني الهجري أصبح الحديث عن معاقرة الخمرة لدى الشعراء هذا القرن فنا ، حيث غادر صورة البداوة والبساطة الى صور أخرى من التعقيد ليصل بصورته المثلى من الصنعة والتعقيد عن مسلم بن الوليد ، ثم يبلغ الذروة في

جمال الصياغة وجدة الموضوع عند أبي نواس ، وقد أصبح لا يرد ذكر الخمرة الا في سياق ذكر مجالسها وندمائها وما جري في لك المجالس من ضروب اللهو والمفاكهة والموسيقى والغناء والرقص ، وقد تكون المجال متزنة وخالية من الفجور والمجون ، وقد تكون غارقة في المجون الفاضح ، وقد كان الزيات قبل توليه الوزارة يعيش حياة لاهية ، وقد وصف الزيات هذه المجالس بصحبة صاحبه وكبير المجلس المسمى (يحيى) والحق أن الزيات عكس بشكل واضح الافكار والتصرفات السائدة في مجالس الطبقات العليا في المجتمع وصور مشاهد التحلل والترف والعهر المتأنق التي أثارت حفيظة جمهور العلماء من المسلمين ، وقد أشار الزيات الى دواعي شرب الخمرة التي مثلت لديه الملاذ والموطن الذي يهرب اليه ، وقد أنطوى شعر الزيات على الكثير من الاوصاف التي رسمها الشعراء من وصف الكؤوس والاباريق والندماء والطريقة التي كانت تصنع بها الخمور وتعتيقها وسقاتها ثم وصل الامر بالزيات الى أن يفصل ما يدور في تلك المجالس بلغة ملؤها الشغف والتحلل والاباحية والتحريض على اقتراف الذنوب ، وقد ربط الزيات اسباب حياته اللاهية بها فقد غدا ذلك عند شعراء الخمرة قيمة حضارية وحياتية جديدة لها مقوماتها واعرافها ورسومها التي يحرصون عليها فلقد تواضعوا على اوقات الشراب وتعارفوا على ما يجب ان يكون عليه النديم والساقي ، وان الزيات قد خاض في هذا الفن وأخذ حيزا مهما من شعره وان الخمريات في شعر الزيات قد تجلت بصورة شبيهة لصورة الخمر في عصره والتي قاربت الصورة النمطية

نبذة مختصرة عن الزيات

إن شاعرنا الزيات على الرغم من كثرة المصادر التي ارخت لحياته ووفاته وعذابه وقصته مع التنور التي أضحت عبرة لكل قارئ وسامع إلا انه أهمل عمداً وبغير عمد فرغم الحياة التي قضاها في تجارته ووزارته وقوته ونفوذه في خلافة المعتصم والواثق، ومدى المكانة والسلطة التي حظي بها، ومن ثم انقلاب حاله وذله وميتته المثيرة لشفقة الا أنه وبالرغم ذلك غيب وغمر بين سطور التاريخ وقد ذكرت بعض المصادر أن تراثه من الرسائل أختفى من ديوان الكتاب ولا عجب في ذلك فقد مات الزيات وهو مغضوب عليه من قبل السلطة ، ثم نفوذ الاتراك في عهد المتوكل ، وضعف البرامكة الذين مال اليهم الزيات في عصر المعتصم ومدحه وتقربه للفرس ايام وزارته ، إذن هناك عوامل أدت الى اهماله وغيابه من على صفحات الدراسات النقدية والقديمة والحديثة ، عدا بعض الدراسات الحديثة ، كتحقيق جميل سعيد لديوانه ودراسة محمد كرد علي في امراء البيان ، ودراسة محمود الهجرسي بعنوان محمد بن عبد الملك الزيات صاحب

التنور ، ثم دراسة فايز علم الدين التي تدخل في اطار البحث الاجتماعي والسياسي ، وتحقيق ديوانه مرة اخرى على يد الدكتور يحيى الجبوري

ومما لاشك فيه أن الزيات ، حظي بمكانة مرموقة في مجال الشعر والنثر ، فقد كان كما وصفه بعض اعلام ذلك العصر كالجاحظ شاعرا مجيدا وكاتبا مبرزا ، والزيات كغيره من الشعراء يبرع في غرض دون غرض ، كما أنه تناول اغلب اغراض الشعر العربي كالمديح والرثاء والهجاء والغزل بشقيه العفيف والماجن وكذلك الغزل بالغلمان والأخوانيات والعتاب.

فالزيات شاعر عاش في العصر العباسي الاول ، وأسمه أبو جعفر محمد بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات وقد جاءه هذا اللقب من جده الذي كان تاجرا يجلب الزيت من مواضعه الى بغداد وأسرته عربية الأصل ، وكان أبوه عبد الملك تاجرا من وجوه تجار الكرخ في بغداد وكان ثرياً موسراً وكان يتولى تزويد بلاط المأمون بما يلزمه من الفساطيط والجمازات وما تحتاجه مطابخ القصر من أشياء حيث كان من كبار تجار بغداد المرموقين ، وقد رجح دكتور يحيى الجبوري سنة ١٧٣هـ سنة ولادته ، أما وفاته فكانت في سنة ٢٣٣هـ[١]

كان الزيات منذ صغره ميالاً الى العلم والأدب ، وقد أعد نفسه ليكون كاتبا وعرف عن الذكاء والفطنة وكان قد تسلم وظيفة القهرمان (الإشراف على المطبخ) في أيام خلافة المعتصم وكان يتولى للمعتصم ما كان يتولاه أبوه وجده من عمل المشمش والفساطيط وآلة الجمازات[٢]

تولى الزيات الوزارة في عهد المعتصم[٣] وكان الزيات قويا حازما ومعتزا بالمكانة التي وصل اليها فكان يقول صنع اليه الخليفة صنيعة تفرد بها نقلتني من ذل التجارة الى عز الوزارة[٤]

توفي الزيات في عهد المتوكل بعد التنكيل به وتعذيبه في التنور الذي لفظ انفاسه الأخيرة فيه وهو تنور من حديد رؤوس مساميره الى الداخل قائمة مثل رؤوس المسال[٥] والغريب في الامر أن الزيات هو من ابتكر عذاب التنور فقد أشار ابن خلكان الى أن التعذيب في التنور لم يسبقه اليه أحد[٦] فبعد أن آلت الخلافة الى جعفر المتوكل أمهل الزيات أربعين يوما بعد أن أقره على الوزارة ، وبعدها أمر المتوكل بتعذيبه والتنكيل به حتى توفي سنة ٢٣٣هـ[٧]

حين نتطرق الى موضوعة الخمرة في الشعر العباسي فإننا لا نعني بها تلك اللمحات السريعة التي ظهرت على مر العصور في قصائد عديدة لشعراء جاهليين واموبين فكما هو معروف أن الشاعر الجاهلي قد أحتفى بالخمرة وشربها وتفاخر بمقاربته لذتها ، إلا إنها لم تأخذ تلك المساحة الوافرة التي هيأتها لها الظروف في العصر العباسي ، ففي العصر الجاهلي كان الشاعر يتطرق لذكر الخمر في سياق حديثه عن الموضوعات الاخرى لم تأت الا ضمن الغرض الرئيس او مطلع لقصيدة أو ان تأتي مقدمة لقصيدة كمعلقة عمرو بن كلثوم، ولعل هذا يعود الى

طبيعة ظروف البيئة التي عاشها كلا الشاعرين فالشاعر العباسي بفضل ثقافته وكثرة اطلاعه واختلاطه مع اقوام ليسوا من دينه ولا من هويته جعله يتأثر بسلوكهم وذوقهم وتعاملهم مع معطيات الحياة وعلى الصعيد الفكري اصبح الشاعر أكثر تجرؤا على مواجهة القيم والتقاليد والاعراف هذا بالإضافة الى البعد الفلسفي والمنطقي في قياس الامور التي أعطت للفرد الحرية في التعبير والاختيار ، وعلى صعيد آخر فأن الشاعر الجاهلي لم تكن الخمرة محرمة لذا فأن صورتها جاءت مطبوعة بذوقه البدوي الذي جعلها غالبا للافتتاح أو مرتبطة بأغراض أخرى ولعل تفسير ذلك يعود الى أن البدوي مرتبط ببيئته جدا ويشعر بالانتماء اليها بكل جوانحه وبما أن الخمرة ليست من واقعه وليست من قيمه البدوية الاصيلة لذلك لم يتشربها ويتذوقها لينتجها نصا قائما بذاته اضافة الى ذلك طبيعة البناء الفني الذي فرضته عليه القيم الفنية للقصيدة الجاهلية وربما عوامل اخرى .

والمعروف أن العرب عرفوا الخمرة منذ عهد بعيد ، وربما عرفوها عن طريق جيرانهم من سكان بلاد البحر الابيض والعراق وفارس ، وشاع شرب الخمر بين كل الطبقات في الجزيرة العربية ، الا انها كانت على وجه الخصوص من مفاخر السادة العرب وذلك لندرتها وغلو اثمانها ، وتتسق إشارات شعر الخمرة مع نمط الحياة البدوية ، وما يحتله السادة من مكانة اقتضت منهم الجود والانفاق ببذخ ، ونجد طرفة بن العبد يفخر قائلا[٨]

وما زال تشرابي الخمور ولـذتي وبيعـي وانفـاقي طريفي ومتلدي
الى أن تحامتني العـشيرة كلـها وافـردت افراد البعـير المعـبد

فلقد بلغت التغيرات في العصر العباسي مدى بعيد من حيث الحياة والمجتمع ، وانعكست روح العصر الجديد في شعر الخمر ، ونعثر في هذا العصر على مقطوعات وقصائد طويلة كرسها أصحابها للخمر ، حتى تكاد لا تنفصل أسماء بعض الشعراء العباسيين عن موضوعة الخمر ، كابي نواس ومسلم بن الوليد ، وكانت بعض التطورات الثقافية التي بدا الاحساس بها في العصر الاموي ، قد أصبحت خاصية ظاهرة في الشعر العباسي ، فقد تهيأت الحياة واصبحت هناك أمكنة مناسبة للهو والمنادمة ، وامتد شعر الخمر نتيجة لتلك الرفاهية وهذا البذخ[٩]

الخمريات من الفنون الشعرية المتطورة ، عرفها العرب منذ القدم ، حيث بدأت بسيطة عن الجاهليين تحاكي بساطة الحياة عندهم ، فانهم وان عاقروا الخمرة وفخروا بشربها كما فخروا بالشجاعة والصبر وانها كانت بعض مضامين المدح والرثاء والوصف ، وانهم تحدثوا عن صفاتها وقدمها ورائحتها وحبها ووصفوا الوانها ووصفوا بعض ادواتها ومجالس شربها ورثوا

اطلال تلك المجالس، الا ان تلك المحاولات ظلت في حدود الابيات القليلة ولم تأخذ صدى واسعاً ولم تتطور حتى العصر العباسي[١٠]

ولا يخفى على باحث ما لهذا العصر من تحولات خطيرة ومؤثرة على الصعيد الفكري كحركات التأليف والترجمة وعلى الصعيد الفني كظهور الاغراض الشعرية المختلفة ةالتي أخذت حيزا واسعا من طبيعة الشعر وعلى الصعيد الاجتماعي كالحركات الشعوبية والاختلاط بين العرب والموالي .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان تلك الاوصاف الجاهلية للخمر لم تعدو كونها الا تشبيها وان أغلب تلك الاوصاف قد تعد ساذجة اولية بالنسبة لما بلغه فن الخمرة في القرن الثاني الهجري[١١] ومع بداية القرن الثاني ، اصبح الحديث عن معاقرة الخمرة لدى شعراء هذا القرن فنا ، فقد غادر صور البداوة والبساطة الى صور اخرى من التعقيد ليصل بصورته المثلى من الصنعة والتعقيد عند مسلم بن الوليد ، ثم يبلغ الذروة في جمال الصياغة وجدة المضمون عند ابي نواس[١٢]

فلا يرد ذكر الخمرة الا في سياق ذكر مجالسها وندمائها ، وما يجري في تلك المجالس من ضروب اللهو والمفاكهة ، والموسيقى والغناء والرقص ، وقد تكون المجالس متزنة خالية من الفجور والمجون ، وقد تكون مغرقة في المجون الفاضح ، وكان ابن الزيات قبل توليه لوزارة يعيش حياة لاهية فيحضر مجالس اللهو والطرب والخمر[١٣]

فلم يكن تطور الخمريات بمعزل عن التحولات البيئية والاجتماعية التي عاشها شعراء هذا القرن ، فهم عاصروا حياة تختلف في مضامينها وقيمها واعرافها عن الحياة البدوية فإلى جانب التطور في العلوم والانفتاح على الحضارات الاخرى وتأثر العرب بمخالطيهم من الهنود والفرس ، كانت السلطة العباسية تغض النظر عن انتشار الحانات ومجالس اللهو والخمر بل انها قد تكون مساهمة في انتشارها فقد كانت الكثير من تلك المجالس والندماء والشعراء المجان ضيوفا مرحب بهم في مجالس الخلفاء ." فقد حفظ المسلمون لأهل الذمة حاناتهم وخمورهم ولم يزيدوا على ان يأخذ الجباة منهم العشر – ان يقوم – ضريبة ، وهذه الضريبة لا تؤخذ الا من اصحاب الحانات وباعة الخمور ، اولئك الذين يعصرون الخمر لا ليشربوه ولكن ليبيعوها ويتاجروا بها"[١٤]

فان التحولات الحضارية تلك كانت السبب في انتشار شرب الخمرة وانتشار حاناتها ومجالسها ثم انعكاس ذلك على الشعر حتى ظهر لنا ذلك الفن الذي بدأ يأخذ سبيله نحو استكمال ادواته ، والاستقلال غرضا قائما بذاته ، حتى صار بابا مهما واسعا في ادب العصر العباسي[١٥] .

وفي نظرة سريعة الى الواقع الديني في العصر العباسي نجد هناك ما يمكن ان نسميه ضعف الموقف الديني اتجاه انتشار الخمر فلم يكن الجانب الديني بما يمثله ممن علماء وفقهاء لهم مقدرة التأثير في رفض هذا الانتشار ولم يكن بمقدورهم الحد من سرعة انتشاره بين اوساط المجتمع هذا بالإضافة الى مواقفهم الخجولة في تحريمه وحض المجتمع على ترك معاقرته وذلك لسببين في نظري الاول قوة تأثير الشاعر في المجتمع وكونه قادر على صناعة الرأي والتوجه " إذ ان هؤلاء الائمة بما فيهم ابو حنيفة الذي عرف عنه أنه احل شرب النبيذ إذا كان لهم أثر في وضع هذه القاعدة أو تلك ، فإنهم حين يضعون قاعدة ما فإنما يضعونها بعد تفشي الظاهرة وليس قبلها ومعنى هذا ان القواعد والآراء لاحقة للحياة وليست سابقة لها مما يضعف كثيرا من آثارها"[١٦] والثاني ترحيب الخلفاء انفسهم بتلك المجالس وممارسة تلك الافعال ايضا.

وهذه الظروف الاجتماعية والسياسية ساعدت بشدة على انتشار الحانات والاديرة ودور النخاسين وكثر الشعراء الرواد الذين اعتادوا على مجالسة بعضهم في تلك الحانات التي اصبحت ملاذا للتفكك وبؤرةً للشذوذ حتى صار هناك شعراء يعرفون بالخلاعة والفجور والمجون " وكان لشيوع مجالس الخمر حينئذ اثرها في ظهور كتابات كثيرة عن آداب المنادمة والنديم ومما اشترطوه لها قلة الخلاف ، والمعاملة بالإنصاف والمسامحة في الشراب والتغافل عن رد الجواب وادمان الرضا وطرح ما مضى واسقاط التكليف وستر العيب وحفظ الغيب"[١٧].

وقد سرد محمد بن عبد الرحمن العطوي قواعد المنادمة الاربعة في قصيدته وهي العلم والاعراض عن التفاخر، وعدم الاسهاب في الحديث ونسيان ما يقوله الاخرون أثناء السكر[١٨]

ووصف الزيات هذه المجالس بصحبة صاحبه وكبير المجلس المسمى (يحيى) حيث يذكره في قطعتين ، فقد يذكر في القطعة الاولى المجلس الذي ترأسه يحيى في كثير من الثناء ويصف آداب المجالس والمنادمة ففي المجلس أحاديث طلية شائقة ، والجلساء لهم مكانتهم ويحيى يسقيهم او يأمر بسقيانهم ، فمنهم من يشرب الخمر ومنهم من يشرب النبيذ ، ويتغزل بهذه الخمر لصافية التي تكاد تضيء لصفائها ويقارن الزيات بين الخمرة التي يجلبها لأنها تفعل فعلها في رأس شاربيها ، وبين النبيذ الذي لا يسكر ، ويشربه المعتدلون من الجلاس ويبدا ابياته بالسقيا لذلك المجلس[١٩]

يقول الزيات[٢٠]

سـقيا لمـجلسنا الذي جمعت به ... طـرف الـحديث وطـاعة الـجـلاس

ظـلنا ويـحيى كـالمؤمر بيننـا ... نسقى ونـشرب تـارة بـالكـاس

نصـفين يشرب بعضنا من قهوة ... صـرف تـضيء كشعلة المقبـاس

والاخـــرون على النبيذ عكوفهم شتـــــــان إن قســناهما بقياس

وفي القطعة الثانية يذكر كبير المجلس يحيى ، ويتغزل بالخمرة المعتقة ، التي يشربها النعسان فيصحو ، وهي خمرة سلاف قديمة العهد ، اذا سكبت في الكأس كان الحبب فيها كأنه الدرر وحوله حبات صغيرة هي الشذر ، وهي صافية مضيئة لا يستطيع أن يوفيها حقها من الوصف فهي لا تكاد ترى ولكن تبصر بالضمير[٢١]

يقول الزيات [٢٢]

أنـــف بالخمـــر نعـــسة المخمـــور وأســـــق يـــحيـــى كبيـــرنا بـــالكبير
مـــن ســـلاف تـــدير طـــوقا مـــن الـــدر ر عـــليهـــا مـــفصلا بالشـــذور
عمـــرت والـــزمان فـــي حجـــر أم فضـــــــلتها بالبـــر والتوقـــير
فـــدمتها الـــمرابيات مـــن الدهـــ ـر فـــأبقت قـــليلة مـــن كثيـــر
لســـــت فـي وصـــفها ببالـــغ شـــيء غـــير أنـــي أقـــرُّ بالتقصـــير
فـــإذا الـــكـــأس أقبـــلت فبنوعيـــ ســـــلاف معـــتق وســـرور
غـــير أن الســـلاف تبصـــره العيـــ ـــن وهـــذا يـــرى بعـين الضمـير

إن الحب والخمرة يمكن أن يكونا إشارة واضحة الى عبقرية الشاعر بأبرع شكل وألمع صورة يقول ابو نواس في إحدى خمرياته[٢٣]

ألا فاسـقني خمـرا وقـل لـي هـي الخمـر ولا تسـقني سـرا إذا أمكن الجـهر
فمـا الغـبن إلا أن تراني صاحيـا وما الـغنم إلا أن يتعتعني السـكر
فـبح باسـم مـن تهـوى ودعنـي مـن الكنـى فلا خير في اللذات مـن دونها ستر

وهنا يشير ابو نواس الى دواعي شرب الخمرة ومبادرة اللذة ويدعو الى التحلل من القيود الدينية ولا يجد ضرا في الاباحية والعلنية ، بل أن في كتم أمرها وتحجيم انتشارها يفقدها قيمتها فقيمة اللذة في نظره إن كانت مباحة دون ستر

والحق أن الشعراء المجان عكسوا بشكل واضح الافكار والتصرفات السائدة في مجالس الخلفاء وفي طبقات المجتمع العليا التي كانت متأثرة بصورة رئيسة بدار الخلافة وان مشاهد التحلل المترف والعهر المتأنق قد أثارت التذمر بين جمهور المسلمين[٢٤]

ويقول الزيات[٢٥]

فـــديتك إن شربـــي فـــي كنـــيف ونـــدماني الـــبعيد مـــن الظريـف
دعـــاني كـــي تـــقر العـين منـــي فـــأسخَنَها بأقـــوام لفـــيف

تـــــقومهم إذا بيـــــعوا جمـــــعيا بكـــــسوتـــــهم قريبـــا مـــن رغيـــف
فلـــــم أرَ فـــــتية إمـــــا تغـــــنوا كـــــأن غـــــناءهم ضـــرب الســـيوف
ســـــوى الـــنَّفر الـــذين فـــررت مـــنهم أبـــــــاطـــــلهم الـــــى رؤوف

في هذه الابيات يشير الزيات صراحة الى دواعي شربه للخمرة فهي ملاذه وهروبه وموطنه الذي يغير ملامحه كيف ما شاء ، وهي تشير الى ان الشاعر يعيش حياة حرة فيها مترفة لاهية.

فقد ورث الشعراء في القرن الثالث ما كانت الخمريات قد بلغته من تطور على يد ابي نواس ليسيروا بها شوطا آخر ويمنحوها من حياة هذه الحقبة وفكرها وقيمتها الجمالية والفنية ما يرقى بها الى صعيد الاغراض المتجددة[٢٦] حتى حثوا على معاقرتها قبل فوات الاوان وصوروا حلاوة شربها وانها ملاذهم حيث ضاقت الدنيا يقول سعيد بن حميد[٢٧]

تمـــــتع مـــن الـــدنيا فانـــك فانـــــي وإنـــك فـــي ايـــدي الحـــوادث عانـــي
ولا يـــأتين يـــوم عليـــك وليلـــــة فتـــخلوا مـــن شـــرب وعـــزف قيـــاني
فإنـــي رأيـــت الـــدهر يلعـــب بالفتـــى ويـــنقله حالـــين يـــختلفـــان
فأمـــا التـــي تمضـــي فـــأحلام نائـــم وأمـــا التـــي تبقـــى لهـــا فأمـــاني

وقد ينطوي شعر الخمرة على الكثير من الاوصاف التي رسمها الشعراء ، من خلال وصف كؤوسها واباريقها ، ولعل رائد هذا الفن ابو نواس الذي ابدع فيها ورسم الخطوط الاولى التي سار عليها الشعراء من بعده[٢٨]

أداروهـــا والليـــل اعتكـــار فخلـــت اللـــيل فاجـــأه النهـــار
فقلـــت لصاحـــبي والليـــل داج ألا الصبـــح أم بـــدت العـــقار
فقـــال هـــي العـــقار تداولوهـــا مشعشعـــة يطـــير لهـــا شـــرار
فلـــولا أننـــي أمتـــاح منـــها حلـــفت بأنهـــا فـــي الكـــأس نـــار

وقد قارب الزيات هذا المعنى في قوله[٢٩]

وصـــهباء كـــرخية عـــتقت فـــطالت بـــها فـــي الـــدّنان الطيـــل
فلـــم يـــبق منهـــا ســـوى لونهـــا ونـــكهة ريـــح بها لـم تـــزل
كـــأن خـــيالا لـــدى كأســـها يـــدق عـــن الطرف مـا لـم يَجُـــل
فـــإن جـــال قـــلت شـراب جـــرى علـــى جـــانب الكأس لا بل اقـــل
تســـمى وليـــس لهـــا فـــي اليقيـــ ـن مـــعنى وجـــود عليهـا يـــدل

فـــــلولا الـــــدلالة عـــن ريحـــها ... لضـــلت ولـــكن أبـــت أن تَضـــل
تـــــرى بالتـــــوهم لا بـالعيـــــا ... ن وتـــــشرب بالعـــقول لا بالعمـــل
كـــــفاني مـــن ذوقهـا شمـــها ... فـــــرحتُ أجُـــرُّ ثيـاب الثَّمـــل

ففي هذه الابيات صورة واضحة عن الطريقة التي كانت تصنع بها الخمور وكيف تعتق وانما هذا الوصف الذي يشوبه خيال جميل ولمسة فنية ساحرة تعطينا تصوراً واضحاً عن السبب وراء ادمان الشعراء الخمر ، فمن خلال هذه الابيات يتضح لنا أن فن الخمريات ما هو الا انعكاس لما وجده الشعراء من متعة ولذة وهروب من الواقع وايجاد بديل يصوغه الشاعر كيف ما شاء ، وهذا الضرب من التغزل بالخمرة أجاده الزيات.

حدث عبد الله بن أحمد بن حمدون النديم عن أبيه قال : غزونا مع المأمون والمعتصم بلد الروم فأهدى إلينا محمد بن الملك الزيات شرابا عتيقا عراقيا وكتب معه هذه الابيات(٣٠)

مـــا أن تـــرى مثـــلي فتـــى ... أنـــدى يـــدا وأعـــم جـــودا
أسقـــي الصـــديق ببلـــدة ... لـــم يـــروا فيـــها المـــاء عـــودا
صفـــراء صـافـــية كـــأ ... ن علـــى جـــوانبها العقـــودا
فـــإن اســـتقل بشـكـــوها ... اوجهـــت بـــالشكر المـــزيدا
خـذهـــا اليـــك كأنـــما ... كســـيت زجـاجتـــها فريـــدا

وبالإضافة الى وصف الخمرة وعطرها وكؤوسها وندمائها نجد أن الزيات يفصل ما يدور في تلك المجالس بغلة ملؤها الشغف والتحلل والاباحية ، والتحريض على اقتراف الذنوب في حضرة الخمرة وكأن بذلك تكتمل صورة المجلس وعناصره يقول الزيات(٣١)

كنـــا وقضـــبان وهـــي تُسمـــعـنا ... والقـــوم مـــن مطـــرق ومقتـــرح
نشـــرب صـــرفا كـــأن مسكـــتها ... نـــار بكـــفي ملاعـــب مـــرح
حاضـــرنا نـــرجس كـــأن بـــه ... عـــتاق خيـــل ســـفرت عـــن قـــرح
والقـــوم كـــل أعـــد زينتـــه ... تســـحب عطفـــاه أذيـــل الفـــرح
حتـــى إذا الكـــأس بـــاح بمـــا ... أخـــفوا لحـــي الصـــبا ولـــم أبـــح
صـــاحت فقـــالوا العـــفاف نفـــرها ... مـــا بالهـــا قـــبل ذلـــك لـــم تصـــح
راحـــوا بـــراء ورحـــت أسحـــب مـــن ... ذيـــل أمـــرئ للـــذنوب مجتـــرح

فهي حبكة سردية يديرها الشاعر من خلال العرض البانورامي لجلسة الخمر والحوار الذي يدور بين الشخصيات وفعل القص على لسانه هو فنجده مكان الراوي فالزيات يعمد الى ذلك

الاسلوب في قصائد الغزل والخمريات ، وهذا من الاساليب التي عمدها الزيات لإضفاء الحركة والحيوية على نصه ولجعله يتلاءم مع جو ملؤه المرح

ولقد تعلق الشعراء بالخمر ، وتملك مجالس انسها زمام لهوهم ، فقد ربطوا أسباب حياتهم اللاهية بها فقد غدا تعاطيهم الخمر وقيامهم بمجالسها قيمة حضارية وحياتية جديدة لها مقوماتها وأعرافها ورسومها التي يحرصون عليها ، فقلد تواضعوا على اوقات الشراب وتعارفوا على ما يجب ان يكون عليه النديم في الادب والساقي من خلق وخلق ، ورسموا الزينة والسماع والتسمح في المجالس سمة لها ، كما تعارفوا على إزالة جانب الحشمة[٣٢]

يقول الامير تميم بن المعز الذي كان يحتذي مثال ابن المعتز في التشبيهات وذكر الاوصاف[٣٣]

وزنجية الآباء كرخية الجلب ... عبيرية الانفاس كرمية النسب

كميت بزلنا دنَّها فتفجرت ... بأحمر قان مثل ما قطر الذهب

فلما شربناها صبونا كأننا ... شربنا السرور المخض واللهو والطرب

ولم نأت شيئا يسخط المجد فعله ... سوى أننا بعنا الوقار من اللعب

كأن كؤوس الشرب وهي دوائر ... قطائع ماء جامد تحمل اللهب

ومما يلاحظ أيضا هو تداول المعاني بين الشعراء فوصف كأس الخمر بالنار واللهب صورة تكررت كثيرا عند شعراء الخمرة ، كذلك تشخيص الخمرة من خلال اضفاء كل عناصر الحياة على هيئتها فتارة تنسب لها الافعال وتارة ينسب لها القول ، ولعل ما يفسر أحتفاء الشعراء بمجالس الخمر هو التعبير عن قيم عصرية وحضارية اكتسبوها واصبحت تمثل جانباً مهماً من مفاهيم العصر.

ويطيل الشعراء العباسيون أكثر ممن سبقهم من الشعراء في اعلان شربهم للخمر دون اكتراث بالدين فقد يسأل أبو نواس صاحبه سليمان أن يغنيه ويسقيه الخمر وأن يلهيه عن صوت المؤذن ويفضل مسلم بن الوليد نديما لا يميز بين صلاة الظهر وصلاة العصر من فرط سكره ويعبر ابو نواس عما يسببه له شهر رمضان من كرب ، ويرجو لو يجد نديما يشاركه الشراب فيستمتع بالمحرمات [٣٤] ويقول مسلم بن الوليد في ذلك[٣٥]

تصد بنفس المرء عما يغمه ... وتنطق بالعروف ألسنة البخل

ونخلص مما تقدم أن الزيات قد قارب هذا الفن الذي أخذ حيزا كبيرا في عصره ، فقد كان فيه مجانبا للخلاعة والتحلل ، التي كانت له اسلوب حياة في فترة من فترات حياته اللاهية ، وقد تجلت الخمريات لدى الزيات بصورة مشابهة لصورة الخمرة في عصره ، فتلك الاساليب قد

أصبحت منهجا في شعر الخمرة ، فهي ذات القصة وذات المشهد يتكرر في نصوص الشعراء حتى اتفقوا على صور نمطية للندماء والسقاة والقيان المغنيات وشكل الكؤوس وطعم الشراب واوصاف الخمرة ، وما يفرق شاعر عن غيره هو ذوقه وموهبته في عكس تلك التجربة .

الهوامش

[١] ينظر ، محمد بن عبد الملك الزيات ، ٩

[٢] ينظر ، تاريخ الطبري ، ١٥ \ ٣١٢

[٣] ينظر ، الاغاني ، ٢٣ \ ٥٧

[٤] ينظر ، أمراء البيان ، ٢٨٣

[٥] ينظر ، مروج الذهب ، ٥ \ ٧

[٦] ينظر ، وفيات الاعيان ، ١٥ \ ١٠٠

[٧] ينظر ، تاريخ الطبري ، ١٠ \ ٧

[٨] ينظر ، شرح المعلقات السبع ، ١٠٢، موسوعة تاريخ الادب العربي ،٣٦٦

[٩] ينظر ، موسوعة تاريخ الادب العربي ، ٣٧٨

[١٠] ينظر، تطور الخمريات في الشعر العربي في الجاهلية ، ٢٤٥

[١١] ينظر ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ٤٧٤

[١٢] ينظر ، تطور الخمريات في الشعر العربي ، ٢٤٥

[١٣] محمد بن عبد الملك الزيات ، سيرته ، ادبه ، ٩٧

[١٤] تطور الخمريات في الشعر العربي ، ١٠٦

[١٥] ينظر ، الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري ، ١٨٣

[١٦] الشعر في الكوفة ، ١٥٩

[١٧] العصر العباسي الثاني، ٣٩٨

[١٨] ينظر ، قطب السرور ، ٢٩٩

[١٩] محمد بن عبد الملك الزيات ، ٩٧

[٢٠] ديوان الوزير ، ق ٧٥

[٢١] محمد بن عبد الملك الزيات ، ٩٨

[٢٢] الديوان ، ٦٨

[٢٣] ديوان ابي نواس ، ٢٨

[٢٤] ينظر، تاريخ الادب العباسي ، ٦٩

[٢٥] محمد بن عبد الملك الزيات ، ٢٢١

[٢٦] ينظر ، الشعراء الكتاب في القرن الثالث الهجري ، ١٨٥

[٢٧] ينظر ، الأمالي ، ابو علي اسماعيل القالي ، ١٣\ ١٧٠

[٢٨] ينظر ، يتيمة الدهر من محاسن اهل العصر ، ١٢\ ٣٦٥

[٢٩] محمد بن عبد لملك الزيات ، ٢٤٨

[٣٠] ينظر ، التحف والهدايا ، ٢٤

[٣١] محمد بن عبد الملك الزيات ، ١٦٨

[٣٢] ينظر ، الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري ، ١٩٣

[٣٣] ينظر ، زهر الآداب وثمار الالباب ، ج٢ ، ١٨٢

[٣٤] ينظر ، موسوعة تاريخ الادب العربي ، الادب العباسي ، ٣٨٥

[٣٥] ديوان مسلم بن والوليد ، ٣٦

المصادر

اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د. مصطفى هدارة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤

الأمالي ، ابو علي اسماعيل القالي ، تح اسماعيل يوسف دياب ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط٢ ١٩٢٦

تاريخ الادب العباسي ، رينولد نكلسن ، تر صفاء خلوصي ، المكتبة الاهلية بغداد ، ط١ ١٩٦٧

التحف والهدايا ، الخالديان ، تح : سامي الدهان ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٥٦

تطور الخمريات في الشعر العربي في الجاهلية الى ابي نواس ، د. جميل سعيد ، مطبعة الاعتماد مصر ١٩٤٥

ديوان ابي نواس ، تح أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، د.ت

ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، جميل سعيد ، دار النهضة ، القاهرة ، ط١ ١٩٤٩

ديوان مسلم بن والوليد ، تح ، سامي الدهان ، القاهرة ، ١٩٧٠

زهر الآداب وثمار الالباب ، ابو اسحاق ابراهيم الانصاري القيرواني ، تح : مجدي فتي السيد دار التوفيقية للتراث ، القاهرة ، ٢٠١٢ ، ج٢

شرح المعلقات السبع ، جمع وتحقيق ، الشيخ أحمد الشنقيطي ، دار الاندلس ، بيروت ، د.ت

الشعر في الكوفة ، رسالة ماجستير ، محمد حسين الاعرجي ، ١٩٧٣

الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري ، حسين صبيح العلاق ، مؤسسة الأعلمي بيروت ، دار التربية جامعة بغداد ، ط١ ، ١٩٧٥، ١٨٣

الشعراء الكتاب في القرن الثالث الهجري ، يوسف حسين بكار ، دار الاندلس ، ط٢ ، ١٩٨١

العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٥

قطب السرور في الأنبذة والخمور ، ابراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني ت(٤١٧) ، المعروف بالرقيق النديم ، تح، د. سارة البربوشيّ بن يحيى ، منشورات الجمل ألمانيا ، ٢٠١٠

محمد بن عبد الملك الزيات ، سيرته ، ادبه ، تحقيق ديوانه ، يحيى الجبوري ، دار البشير ، ط١ ٢٠٠٢
موسوعة تاريخ الادب العربي ، الادب العباسي ، جوليا اشتياني ، جونستون ، جي ديه لايثم وآخرون ، تر محمد بريري ، واحمد عبد اللاه الشيمي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ط١ ، ٢٠١٧
يتيمة الدهر من محاسن اهل العصر ، ابو منصور الثعالبي ، تح محي الدين عبد الحميد القاهرة مطبعة السعادة ، ط٢ ، ١٩٥٦

References

Trends of Arabic poetry in the second century AH, d. Mustafa Hadara, House of Knowledge, Cairo 1964

Al-Amali, Abu Ali Ismail Al-Qali, Taht Ismail Youssef Diab, Al-Saada Press, Cairo, 2nd floor 1926

A History of Abbasid Literature, Reynolds Nicholson, Tar Safaa Khulusi, The National Library of Baghdad, 1st Edition 1967

Antiques and gifts, Al-Khalidian, T. Sami Al-Dahan, Dar Al-Maaref, Cairo, 1956

The evolution of khmeriat in Arabic poetry in the pre-Islamic era to Abu Nawas, d. Jamil Said, Al-Etimad Press, Egypt 1945

Diwan Abi Nawas, Tah Ahmed Abdel Majid Al-Ghazali, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Lebanon, d.

The Diwan, Minister Muhammad ibn Abd al-Malik al-Zayat, Jamil Said, Dar al-Nahda, Cairo, 1st 1949

The Diwan of Muslim Ibn Walid, T.H., Sami Al-Dahan, Cairo, 1970

The flower of literature and the fruits of the mind, Abu Ishaq Ibrahim Al-Ansari Al-Qayrawani, edited by: Majdi Fatti Al-Sayed, Dar Al-Tawfiqia for Heritage, Cairo, 2012

Explanation of the seven suspensions, collection and investigation, Sheikh Ahmed Al-Shanqiti, Dar Al-Andalus, Beirut, d.T.

Poetry in Kufa, Master Thesis, Muhammad Husayn Al-Araji, 1973

Poets writers in Iraq in the third century AH

Book poets in Iraq in the third century AH, Hussein Sobeih Al-Alaq, Al-Alamy Foundation, Beirut, House of Education, University of Baghdad, 1, 1975

The Book Poets in the Third Hijri Century, Youssef Hussein Bakkar, Dar Al-Andalus, 2nd Edition, 1981

The Second Abbasid Era, Shawqi Dhaif, Iraq, Najaf Al-Ashraf, 2nd floor, 1427 A. H.

Qutb Al-Surour, Abu Ishaq Ibrahim, known as the slave Al-Nadeem, Tah, Ahmed Al-Jundi, Arabic Language Academy Publications, Damascus 1969

Muhammad ibn Abd al-Malik al-Zayat, his biography, literature, verified by his book, Yahya al-Jubouri, Dar al-Bashir, 1st edition 2002.

Encyclopedia of the History of Arabic Literature, Abbasid Literature, Julia Ashtiani, Johnston, J. D. Laitham, and others, Tar Muhammad Bariri, and Ahmed Abd Allah Al-Shimy, The National Center for Translation, Cairo, 1, 2017

The orphan of time is one of the virtues of the people of the age, Abu Mansour Al-Thaalibi, Tahih Al-Din Abdel Hamid, Cairo Al-Saada Press, 2nd Edition, 1956